Deists Criticism of the Bible: Thomas Paine's Position on the Old Testament as a Model

Muhammad Yousef Oglu(1)* **Prof. Ahmad A. Awaisha**(2)

Received: 17/04/2022 Accepted: 14/06/2022 published: 30/03/2023

Abstract

Criticism of the Bible in Western thought occupies an important place, and the interest in it increased in the seventeenth century by Western thinkers, where deists are among the most important of these thinkers. This study aims to clarify Thomas Paine's position on the Old Testament by researching his critical approach and analyzing the use of his literary and historical criticism. The study concluded that Thomas Paine followed Ibn Ezra and Spinoza in his criticism of the Old Testament. It is believed that he sees all Scriptures are not mistake-free. His criticism of revelation and prophecy is based on his beliefs, sometimes contrary to scientific evidence or reference.

Key Words: Thomas Paine, Bible Criticism, The Church, Deism.

نقد الربوبيين للكتاب المقدس:
موقف توماس باين من العهد القديم أنموذجًا

محمد يوسف أغلو(1)* أ.د. أحمد عبد العوايشة(2)

ملخص

يحتل نقد الكتاب المقدس في الفكر الغربي مكانة مهمة. إذ ازداد الاهتمام به مع القرن السابع عشر على يد المفكرين الغربيين، ويعد مذهب الربوبية من أهمها. تهدف هذه الدراسة إلى بيان موقف توماس باين الربوبي من العهد القديم خلال البحث في منهجه النقدي وتحليل استخدام نقده الأدبي ونقده التاريخي. وتوصلت الدراسة إلى أنه تابع ابن عزرا وسبينوزا في نقده العهد القديم. ويُعتقد أنه يرى كل الكتب المنزلة ليست خالية من الأخطاء. ويعتمد نقده للوحي والنبوة على معتقداته خلافًا للدليل أو المرجع العلمي أحيانًا.

الكلمات الدالة: توماس باين، نقد الكتاب المقدس، الكنيسة، المذهب الربوبي.

(1) Researcher.
(2) Professor, Department of Fundamentals of Religion, University of Jordan.
* ***Corresponding Author:*** y.mahitup@gmail.com
DOI: https://doi.org/10.59759/jjis.v19i1.10

المقدمة.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإنّ ظاهرة نقد الكتاب المقدس ذات قيمة في الغرب؛ حيث إن الظاهرة انتشــرت مع عصــر التنوير وحددت قواعده في الأوســاط العلمية للغرب. ومن المعروف أن المذهب الربوبي جزء لا يتجزأ من عصــر التنوير. وظهر المذهب الربوبي (Deism) في القرن السابع عشر على يد هربرت تيشر بري (1648م). ويضم تحته أسماء مختلفة، كمذهب التأليه الطبيعي، التأليهية، الدين الطبيعي. على الرغم من الاختلافات في أســمائه فإن تعريفاته كلها تجمع على بعض أفكار محدودة. حيث إن المذهب الربوبي يؤمن بوجود الله وخلقه الكون، وينكر الأديان والكتب المنزلة، ويعتمد على العقل المجرد في فهم تدبير الله للكون والإنسـان في مقابل الوحي. وليس من الممكن إنكار إســهامه في عصــر التنوير وجهوده في نقد الكتاب المقدس. ويعد الربوبي توماس باين من أهم الربوبيين في هذا الصدد. وتهدف هذه الدراسة إلى سرد الأسباب الأساسية لظهور نقد العهد القديم وتعميم ذلك على كل الكتب المنزلة وإلى قراءة نقد باين وتحليل مناهجه من خلال قراءة كتابه " عصــر العقل"، ومقارنة نقده بقواعد النقد للكتاب المقدس عند الغرب.

مشكلة الدراسة.

تحاول هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة الآتية:

1- ما أسباب نشأة نقد الكتاب المقدس في العالم الغربي؟

2- ما أهمية كتاب عصر العقل في دراسات نقد الكتاب المقدس؟

3- ما موقف توماس باين من العهد القديم، ومن أيِّ جهة ردّ العهد القديم؟

أهمية الدراسة.

يعد توماس باين من أهم رجال المذهب الربوبي في زمانه وحتى في يومنا الحاضـر. وقد اشـتغل بنقد الكتاب المقدس وأثر في من بعده. ومع ذلك فإنّ هذا الأمر لم ينتشـر على يد باين. وتركز هذه الدراســة على تأثير باين في الربوبيين وتأثره بالفكر الغربي وتهدف إلى تحديد مكانه بين نقاد الكتاب المقدس.

1- بيان تاريخ نقد العهد القديم في الفكر الغربي وعند الربوبيين.

2- إدراك موقف توماس باين من العهد القديم.

3- تحليل ونقد أفكاره ومنهجه في نقد العهد القديم.

أهداف الدراسة.

يهدف هذا البحث لتحقيق جملة من الأهداف، يمكن جمعها في النقاط الآتية:

1- تعريف أفكار توماس باين من خلال دراسة كتابه.

2- معرفة أفكاره عن العهد القديم.

3- تحليل آرائه في العهد القديم ونقده من جهة العقل والبحوث العلمية.

منهج البحث.

هذه الدراسة تتبع المنهج الاستقرائي والمنهج التحليلي، حيث إنها تعتمد على كتاب باين "عصر العقل" ونقده العهد الجديد وتحليل أفكاره عنه.

الدراسات السابقة.

لم نصادف بحثا علميا خاصا بهذا الموضوع خلال دراستنا. مع ذلك ثمة كثير من البحوث والدراسات مختصة بنقد الكتاب المقدس عند الفكر الغربي والفكر الإسلامي. حيث إن أريج إبراهيم عبد الرحمن الحوامدة ناقشت رسالة ماجستير تحت اسم "حركة نقد الكتاب المقدس في أوروبا من عصر النهضة إلى العصر الحديث وموقف الكنيسة منها" في جامعة العلوم الإسلامية العالمية. وسردت أسباب نشأة نقد العهد القديم وتأثير العلماء المسلمين في ظهور هذه الحركة وأنواع النقد، ولكن لم تذكر نقد الربوبيين وكذا دور توماس باين.

خطة البحث.

تم تقسيم البحث إلى مبحثين، وذلك على النحو الآتي:

المبحث الأول: موقف باين من الوحي والنبوة.

المطلب الأول: مفهومه الجديد "الوحي الحقيقي".

المطلب الثاني: موقفه من الأنبياء.

المبحث الثاني: موقفه من العهد القديم.

المطلب الأول: نقده الأدبي.

المطلب الثاني: نقده التاريخي.

خاتمة: وفيها أهم نتائج البحث، والتوصيات.

التمهيد:

تعد ظاهرة نقد الكتب المقدسة من أهم الظواهر في تاريخ الأديان. ونستطيع أن نجد نفس الظاهرة للكتاب المقدس في الفكر الغربي أيضًا. لكن هذه الظاهرة لم تظهر دفعة واحدة ونجد التطور في هذه الظاهرة في القرنين السادس والسابع عشر في العالم الغربي إلى حد كبير.

ومن المفروض أن هذه الظاهرة نشأت على أيدي المسلمين وحددوا مناهج النقد وقواعده. وفي الفترة يتصادف بين القرن الحادي عشر والقرن الثالث عشر. ومن المهم أن التوراة والإنجيل في أصلهما منزلان من الله في عقيدة المسلمين.

ولذلك فالقرآن الكريم يذكر التوراة والإنجيل في كثير من المرات، والله I يأمر المؤمنين بالإيمان بهذين الكتابين. فمن الطبيعي أن يكون اهتمام المسلمين بهما كبيرا لأنهما جزءان من أصل عقيدتهم[1].

وحدث هذا الاهتمام في وقت مبكر مع دخول النصارى في المجتمع الإسلامي. وتناول العلماء المسلمون مقالات النصارى عن الكتاب المقدس. ومن الواجب أن نذكر في هذا الصدد بعضهم مثل ابن حزم وكتابه "الفصل بين الملل والأهواء والنحل" والقرافي في "الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة". ويمكن القول إن اتجاه علماء المسلمين إلى الكتاب المقدس يعد من أهم الأهداف التي تثبت نبوة سيدنا محمد ε[2]. وسبب ذكر هذه الأسماء قربها من المجتمع الغربي. فابن حزم عاش في الأندلس ومن المعروف أن أوروبا أخذت كثيرا من الأشياء فيما يتعلق بالسياسة والحضارة من الأندلس كما تأثروا بالمسلمين في هذا الموضوع أيضًا. ونجد أمثاله عند بعض الأشخاص الذين كانوا نصارى وبعد ذلك أسلموا. ومثال على ذلك نصر بن يحيى المتطبب والذي ألف كتابا تحت اسم "النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية". وقد نقد الكتاب المقدس وتطرق إلى التناقضات فيه[3].

وعلى الرغم من هذه الاتجاهات بين النصارى واليهود أصبحت مؤثرة هذه الأشكال محدودة. ولكن إن التطورات الدينية والعلمية غيرت وجهة نظر النصارى وأوروبا بشكل عام إلى الكتاب المقدس. ففي القرن السابع عشر عاش المجتمع الغربي تغيرات جذرية في الفلسفة والفكر على يد بيكون وديكارت. وترسخت فكرة الشك في معظم أذهان المفكرين وتوافقت قوة الإنسان في الحصول على المعلومات عن الكنيسة أو المصادر الإلهية. وعلاوة على ذلك فإن مكان الإله تراجع في المجتمع الأوروبي وبدأ الإنسان يثق بنفسه أكثر مما سبق[4]. والجدير بالذكر أن سبينوزا كان رجلًا استثنائيًا في ذلك الوقت. حيث إنه يعد من أوائل من حددوا أسس نقد العهد القديم. والذي اعتمد في نقده على التاريخ. واقترح بعض المبادئ في النقد واقتصرها على ثلاث. فالأول إتقان العبرانية والثاني المعرفة في ما وراء تدوين متن العهد القديم والثالث وصول المتن إلينا بلغته الأصلية.[5]ومن المهم أنه ركز على ما ركز ابن حزم في نقده. والجدير بالذكر أن باين اتبعهما أحيانًا وضرب نفس الأمثال كثيرا من المرات. فقد تطرق إلى أخطاء الحسابات الرياضية في العهد القديم ويرى من المستحيل أن يكون يشوع كاتب سفر يشوع وبعض الأخطاء في تسمية المدن التي سردت في العهد القديم[6].

مع كل هذا ظهرت أهم حركة نقد في تاريخ الغرب مع عصر النهضة وعصر التنوير. يحتوي اللذان ضمنهما كثيرًا من الأسس والأشكال والمناهج. والمقصود بالأسس المشاكل في تدوين الكتاب المقدس وتقنينه وفي لغاته. وأشكال نقد الكتاب المقدس تتأتى من النقد الأعلى، حيث إنه يتناول المراجع الأولية والأصلية للكتاب المقدس والنقد الأدنى؛ إذ إنه يجمع في نفسه كل الطرق التي تُستخدم في نقد الكتاب المقدس وتحليله[7]. وأما المناهج أو الطرق فيندرج تحتها النقد الأدبي والنقد التاريخي والنقد العلمي. والنقد الأدبي يرتكز على المفردات المتنوعة والأسلوب في إفادة غرضه والتعابير بالمقارنة بين النصوص القديمة للكتاب المقدس من جهة الأدب[8]. والنقد التاريخي يهتم بإظهار حقيقة الحوادث التي سُردت في الكتاب المقدس. والذي يكترث لظروف المجتمع في وقت حادث ما وعلاوة على ذلك يستفيد من الأركيولوجي والاكتشافات العلمية[9]. والذي ينقسم إلى قسمين أساسين هما: النقد الخارجي والنقد الداخلي. فإن النقد الخارجي يركز على الوثائق والنصوص ويسمى بأسماء

مختلفة أيضًا نقد التحصيل ونقد الصحة وينقسم إلى نقد التصحيح ونقد المصدر. والنقد الداخلي أو النقد الصدق يهتم بمضمون النصــوص ومحتواها. ويندرج قســمان تحت هذا النقد هما: نقد التفســير ونقد الدقة والأمانة[10]. والجدير بالذكر أن هذا المنهج يُطبق على العهد القديم أحيانًا لأنه يحتوي عدة مســائل تاريخية وبينها وقت طويل[11]. وأما النقد العلمي فيشــتغل بمناســبة التطورات العلمية بينها وبين الأشــياء فيما تتعلق بالعلم في الكتاب المقدس والتناقضـــات العلمية بينهما، مثل "خلق العالم ومراحله"، "ظهور الإنسان على الأرض" و"رواية الطوفان"[12].

وأما المذهب الربوبي فيعد من أهم حركات نقد الكتاب المقدس في الغرب. والربوبي توماس باين ألف كتابا تحت اســم "عصر العقل" حيث يُعد من أهم المؤلفات عند المذهب الربوبي. وبالرجوع إلى مضمون الكتاب نجد أنه عبارة عن قسمين. فقد كتب الجزء الأول في سـنة 1794 في باريس ولكنه لم يكمل كتابه؛ لأنه عاش كثيرا من المشـاكل السـياسـية ومكث في السـجن لمدة وكافح مرضـا خطيرا، على الرغم من هذا فقد أكمل الجزء الثاني في سـنة 1795م[13]. إن الجزء الأول يشـتمل على بيان اعتقاد المؤلف في الدين وهدف تأليف الكتاب وأفكار توماس باين عن عدة مسـائل مثل: "شـخصـية عيسـى υ"، "الأسـس المسيحية"، "مقارنة النصرانية مع الدين الطبيعي"، "الوحي الحقيقي". وأما الجزء الثاني في الكتاب فمنحصر في تحليله العهد القديم والعهد الجديد.

المبحث الأول:
موقف باين من الوحي والنبوة.

إن مسـألة الوحي والنبوة من أهم المسـائل التي يتطرق المذهب الربوبي إليها، والجدير بالذكر نقد الربوبيين لهما تغير مع الزمـان. فقد نقد مؤســس المذهب الربوبي هربرت تشــير بري (1648) الوحي والنبوة بهدف إزالـة الخرافـات من النصرانية[14]. ومن أجل ذلك فهو ينظر إلى الكتاب المقدس وعيسى υ نظرة احترام، وتوقف ذلك مع باين. حيث معه تحول هذا الحال إلى هجومات شـديدة على كل الأديان. ويمكن القول: إن باين يحتل مكانة غاية في الأهمية عند الربوبيين وخاصـة عند المذهب الربوبي المعاصــر، لأننا لا نصـــادف بعد باين رجلا مثل هربرت الذي ينظر إلى النصــرانية بإجلال. ومن ما ســبق ندرك هنا أن آراء المذهب الربوبي المعاصــر حول الأديان مع موقف باين من الوحي والنبوة لا يتماشـــى مع نظرة هربرت، ويرى توماس أن كل دين أو مؤســســة دينية أنشـئت من طرف شـخصـيات تعتقد أن لديها واجبا خاصـا، وهذا ما ينطبق على موسـى υ عند اليهود وعيسـى υ عند النصـارى ومحمد صـلى الله عليه وسـلم عند المسـلمين. وهذا يعني أنه لا يوجد طريق إلى الله من غيرهم. وكل منهم لديه كتاب منزل من الله ومع ذلك فإن كلا منهم يكفر بمعتقد الآخر[15]. وبعد تمهيد قصير فقد تناول كلمة الوحي، ويقول: إن الوحي شيء يطبق على الدين يعني ما أرسله الله إلى الناس مباشرة.

والجدير بالذكر أن بعض الربوبيين (Deists) يهاجمون مفهوم الوحي من كل حدب وصـــوب، حيث إنهم يحللونه من جهة اللغة وكيف جرى في الكتب المقدسة[16]. وتوماس باين واحد منهم. ونستطيع أن نرى أنه يتناول مفهوم الوحي بشكل غير معتاد. وبينما يقبل وجود الوحي كمفهوم إلا أنه يقول: إن الوحي الحقيقي يعرف بالكون. وليس من الممكن تغيير هذا الوحي-الكون- من طرف آخر. مثل لغات الناس؛ لأنها محلية ومتغيرة. وعلاوة على ذلك يمكننا القول: إن باين يرى أن لغات الناس محلية ومتغيرة دائمًا. وعلاوة على ذلك فإن هذه اللغات لا تعد علم اليقين عند كل الناس وعليه فإنه لا يســتطيع أن يفهم أن الله I قد أرسل رسولًا بكتاب وبلغة معينة والذي يكون مرشدًا ومبشرًا لكل البشر. ويرى أن من يؤمن بهذه الفكرة جاهل لا يعلم حدود العالم أبدًا. وهو يعتقد أن اللغة ليست آلة واحدة للوصـول إلى الهدف. والترجمة من لغة إلى اللغات الأخرى لا تكون سـليمة من جهة المعنى واللفظ. ولذلك فأصبـح لغة في العالم موجودة وهي الكون في نظره. ومن الممكن أن يفهم كل الناس هذه اللغة

بسهولة. وهذه اللغة متنوعة وعالمية تتكلم مع الناس بلغات مختلفة. إضافة إلى ذلك لا أحد يستطيع أن يزيفها، ومع ذلك يستطيع أن يقرأها كل الناس ويفهموها، وهذ اللغة تنادي الناس في كل أرجاء العالم. ومن أجل ذلك يجب على الناس الاتباع والاستماع لها. وبذلك يدرك الإنسان الإله[17].

نستطيع أن نرى في أفكار توماس باين وجهة نظر ثابتة؛ لأنه يعتقد أن الوحي محدود دائمًا في أمر إرشاد الناس؛ لأنه يعتقد باين لو قبلنا أنه على الحق لكان واجبًا على من يتأمل في الكون أن يدرك الإله ويؤمن به، ومع ذلك ليس من الممكن القول: إن باين على حق في فكره؛ لأنه ليس واقع في العالم. وأنه يرى أن الترجمة من لغة إلى لغة أخرى تفسد المعنى الأصلي. يعني أن الترجمة لا تستطيع عكس المعني تمامًا. غني عن البيان بعض الأشياء في اللغة مثل البلاغة لن تُفهم بسهولة. ومع ذلك نحن نرى من يبحر في اللغة وهو ليس صاحب اللغة أصلًا يفهمها ويترجمها. ولكن المهم أن كثيرًا من الأشياء في اللغة من الممكن أن تترجم إلى اللغات الأخرى. ولو ما كان هكذا كيف تتعامل الشعوب بعضها مع بعض. وحتى المسائل العقدية تفهم باللغة الأخرى بسهولة؛ لأنه إذا كانت عقيدة سليمة تكون لغتها واضحة ومفهومة عند الناس. مثال على ذلك أننا نترجم معنى الآية **[قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد]**[الإخلاص: 1] إلى أي لغة يفهم الناس مضمون هذه الآية. والجدير بالذكر أننا نعتقد أن الكون من آيات الله، ولكن لا جدال أن كل من يفكر الكون ويتأمل فيه لا يؤمن بالله. ولذا يمكن القول إن الإنسان يفتقر إلى الوحي أيضًا.

إن ّالربوبيين يعتقدون أن الله قادر على كل شيء[18]، لذا هو يرسل إلى من يشاء، مع ذلك هذا الوحي وحي خاص لمن هو مرسل إليه، الوحي محدود بالشخص الأول، وليس من الممكن أنه يكون وحيًا من دونه، بل هو يعد من باب الإشاعة للناس الآخرين. وبعد ذكر تحليله في الوحي يقول باين: "إنني لست مجبرًا على الإيمان بمن يدعي أنه مرسل إليه؛ لأن الوحي لم يرسل إلي وأنا لا أعرف حقيقته". وكل مضمون الوحي عبارة عن مبادئ أخلاقية أساسية أصلًا، ومن الممكن لإنسان عادي يستطيع أن يدرك بعقله ولا حاجة إلى الوحي أصلًا[19].

مما تقدم يتضح لنا أن باين يحدد "مفهوم الوحي" نفسه. والذي لا يعتمد في تحليله على إسناد أو دليل علمي. علاوة على ذلك أنه بينما يؤمن بأن الله قادر على كل شيء يحدد قدرة الله تعالى كما فعل أغلب الربوبيون. حيث إن من يرسل الوحي إلى الناس يستطيع أن ينادي الناس برُمّتهم، ومن الممكن القول. ونحن نعتقد إذا أصبح رأيه فاسدًا في الوحي من الممكن أن يكون ذا قيم كبيرة، وكيف يريد باين أن لا يفهم ويتعلمها، وإذا ثبت الوحي الصحيح ومن الله أيضًا كيف من الممكن أن باين لا يعتقد به، وكل هذا يشير إلينا أن أفكار توماس ليست خالية من التناقض.

و يرى باين أن المسلمين يعتقدون أن القرآن كتاب مرسل من الجنة عبر الملك وأنه لا يستطيع أن يؤمن به بسبب عدم رؤيته الملك مباشرةً. لأنه لم ير الملك، وهو لا يرى المعجزة في ولادة عيسى لأن هذه الحادثة تعتمد على كلام بعض الناس، ولا يوجد عليها دليل ثابت. وهو لا يعتقدها، والجدير بالذكر أنه يدعي أن اليهود الموحدين لم يؤمنوا بها أصلًا، ويرى باين أن كل ما ذكر في العهد الجديد من باب الاعتقاد أخذت من الأساطير الميثولوجي[20].

وحين ندرس ادعاءه الأول في هذا القسم نجد أن باين يهمل كثيرًا من الأمور التي تعد من نفس الباب، ولا يعتمد باين على ما لم يره ولكن إننا ندري كل ما هو موجود في التاريخ والذي لم نره ولكن نفترض وجوديته اعتمادًا على النصوص

والوثائق. على أساس بعض القواعد العلمية، علاوة على ذلك إن الربوبيين يضعون بعض الأسس في معتقداتهم ولكن لا نعرف من أين أخذوها، مثل الكون أقوى دليل بالمقارنة مع الوحي لإثبات وجود الله تعالى، أو الوحي محدود بمن يسمع أول شخص، يفهم أن كل هذا لا يعتمد على دليل علمي.

وأن باين يتحدث عن إيمان اليهود مثلما يعتقد اليهود. حيث نرى إذا المقصود من الموحدين الذين يؤمنون بدينهم هم يؤمنون بالمعجزة والوحي أصلًا؛ لأنه ظهرت كثير من المعجزات على يد سيدنا موسى υ. ومن الممكن إيمانهم بولادة عيسى υ دون أب.

كما أنه ينظر إلى من يؤمن بالرسل والذي يرى نفسه مرسلا من الله إلى الناس أنه كاذب. وهو يقول إن هذا الوحي إذا أُنزل عليه فليس واجب على الناس الإيمان به؛ لأن هذا خاص به فق، لأن الوحي يمكن استخدامه على يد الناس لمنفعاتهم[21].

ونجد أنه لا يحتمل أن من يرى نفسه مرسل من الله إلى الناس يمكن أن يكون صادقًا بل أنه كاذب دائمًا. إذا كان عندنا شيئان متساويان في هذا الأمر يجب أن يكون دليل خارجي من أجل أن نفضله على الآخر، ولكن هذا ليس موجودًا وإذن ادعاؤه يعد ادعاء فقط. والجدير بالذكر أن أغلب الربوبيين يرى شخصية عيسى υ إيجابية.[22] ومع ذلك يرون أن من يدعي أنه نبي كاذب، ومن المعروف أن عيسى υ أعلن أنه نبي، وهذا يجعل القارئ يخلص إلى أن أفكاره لا تخلو من التناقضات.

ويعتقد بابن أن الوحي يدرّس لنا الأفكار الضالة والشاذة ولا يدرّسنا الأشياء المفيدة، وأجزاء الكتاب المقدس التي تتحدث عن الأخلاق ليست من أصل الكتاب يمكننا أن نجد هذه المبادئ الأخلاقية المشتركة في كل الأديان والكتب المقدسة، وهو يضرب مثالًا في هذا الصدد حيث **{أَمّا أنا فأقولُ لكُم: لا تُقاوِموا مَنْ يُسيءُ إلَيكُم مَنْ لطَمَكَ على خَدِّكَ الأيْمنِ، فحَوِّلْ لَه الآخَرَ}**[متى، 5:39] ويرى باين أن هذه العبارة تقتل صبر الإنسان وتجعله كلبًا؛ لأن حب العدو ليس من الأخلاق الحقيقية، ويسرد أن المذهب الربوبي ليس هكذا، بل مفهوم الأخلاق عنده متطابق بمفهوم الأخلاق عند الله[23]. والجدير بالذكر يرى باين أن القصص التي سردت في الكتاب المقدس غير أخلاقية تمامًا وتحتوي الظلم والقتل[24].

ونستطيع أن نصادف في أفكار باين فكرة عن الأخلاق التي تعتمد على العقل تمامًا، ولذلك يمكن القول إنه يفكر بالأخلاق من جهة واحدة، وهذا ليس مطابقًا للواقع؛ لأن الإنسان ليس عبارة عن الخير والفضل، ووجهة نظر باين أن الأخلاق ليست خالية من النقصان، ومع ذلك فإننا ندري أن الإنسان يميل إلى الشر والخير بسبب طبيعته، علاوة على ذلك فإن المذهب الربوبي يجبر على الناس الاختيار بين طرفين إما أن يكون ذا أخلاق أو متدين، ولكن كيف نهمل الاحتمال حيث إن الإنسان أن يكون ذا أخلاق ومتدين في الوقت نفسه[25].

المطلب الأول: مفهومه الجديد "الوحي الحقيقي".

كما ذكرنا سابقًا أنه يعتقد بوجود الوحي أصلاً، مع ذلك فإن ما يحلله باين مختلف عن المعتاد ويرى أن الوحي الحقيقي هو الكون ولا أحد يستطيع أن يغير لغته، ويخاطب الله الناس بهذه اللغة، وهذه اللغة عالمية بالمقارنة مع لغات الناس؛ لأنها من الممكن تغييرها ولا تكفي لشرح العلم العالمي، ويضرب باين المثال بسيدنا عيسى υ في هذا الموضوع، إذ إنه مرسل بلغة القوم، ولكن في الوقت نفسه يبشر كل الناس في أرجاء العالم، ولكنه لم يستطع هذا؛ لأنه لم يعرف اللغات الأخرى إلا العبرانية، وكانت مئات اللغات في زمانه في العالم، ومن الممكن أن يخطر على البال أن الترجمة حل لهذه المشكلة، ولكن باين لم يقبل هذا؛ لأن الترجمة ليست قادرة على إيصال الغاية في المعنى بسبب النقصان في طبيعتها، ويرى

أن عدم وجود المطبعة في ذلك الوقت فإن مقالات عيسى υ لم تصل إلى كل الناس[26]. وتجدر الإشارة إلى نقطة مهمة هي أن مثل هذه المقارنة عند باين تعد من باب المفارقة التاريخية.

مع أن باين لم يضرب مثلا عن تغيير القرآن الكريم، لكنه يعتقد أن كل كتاب منزل أخذ نصيبه من التغيرات[27]. ونجد أن كلامه عن الكتاب المقدس ثابت تاريخيًا، ولكن حين نبحث تاريخ جمع القرآن الكريم نجد اختلافات كثيرة بينه وبين جمع التوراة والإنجيل، كما يُعرف أن القرآن الكريم كان ينزل منجمًا وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أوكل كتابة الوحي إلى بعض الأشخاص من أصحابه، علاوة على ذلك، حفظ كثير من الأشخاص من أصحابه القرآن الكريم، ويمكن القول: إن الاختلافات كان في الكتاب المقدس عن الوحي عند الحفاظ والكتاب نتصادف إليه عبر التاريخ، ومن الثابت أن المسلمين اهتموا بهذا الأمر في كل أجيالهم واشتغل كثير منهم بحفظ القرآن الكريم وكتابته[28].

حين نعود إلى نقده الآخر نجد تناقضات بينه وبين الوقائع التاريخية؛ لأن النبي الكريم عندما أرسل إلى قومه جذب الأنظار إليه بسبب مضمون دعوته، وهذا لا ينحصر بقومه بل يميل كثير من الناس من خارج قومه إليه، ونستطيع أن نجده عند كثير من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أجمعين، إذ إن نبينا كان له أصحاب من خارج وطنه، مثل سلمان الفارسي، والجدير بالذكر أن سلمان الفارسي سمع اسم نبينا محمد ε خلال زيارته إلى الروم[29]. وهذا يشير إلينا أن خبر بعثة محمد ε وصل إلى الروم، ربما يعتقد باين أن الاتصال بين الدول ليس واسعًا وسريعًا في زمان الأنبياء بالمقارنة مع زمانه، ولكن نعرف أن الاتصال بين الدول من طريق التجارة خاصة كان قويًا، ولما هاجر بعض الأشخاص من أصحاب النبي ε إلى الحبشة كان الملك النجاشي معروفًا عند قريش، وكان بينهما علاقة، ولذلك بعثت قريش إلى الملك النجاشي عمارة بن الوليد وعمرو بن العاص[30]. والنجاشي كان يعرفهم عن كثب، وهذا يشير إلينا أن الاتصال بين الدول كان قويًا في العالم القديم، علاوة على ذلك أن أصحاب النبي وحواريي عيسى υ نشروا دينهم الإسلام وتوجه الناس إليهم، وأصبح هذا الاتصال بينهم بلغتهم وتأثيرهم ليس محدودًا بهم بل أكثر مما يتوقع، علاوة على ذلك من المؤكد أن رسول الله ε أرسل رسائل إلى الملوك الذين يحكمون الدول التي تقع جوار مكة والمدينة مثل الرسالة إلى النجاشي وإلى قيصر ملك الروم وكسرى ملك الفرس، وهذا يشير إلى أن كل الاتصال أصبح باللغة ودعوة رسول الله تعتمد على الوحي، إذًا إن فحوى الوحي يُفهم باللغة الأخرى[31].

علاوة على ذلك فإن باين يرى أن لغة الكون لها عدة مستويات متنوعة جدًا. ولذلك فهي تجمع كل الأفكار والمفاهيم، وهذه اللغة لا تتغير في أي مكان، ولا حاجة إلى نشرها وطبعها، وتخاطب كل الناس، والإنسان لا يستطيع أن يعي قدرة هذه اللغة إلى أي حد تصل. وإذا أراد الإنسان أن يدرك الإله من الواجب عليه البحث في لغة الكون[32]، وحين نعود إلى كلام باين نجد فكره ليس قويًا ولا شاملًا لكل الناس؛ لأن ليس من الممكن أن كل الناس يقدرون على فهم لغة الكون، ولذلك يمكن القول إنهم يفتقرون إلى الرسول الذي يعلمه الحقيقة، علاوة على ذلك أن لغات الإنسان مستخدمة بينهم وتطورت مع الزمان، والإنسان يشرح كل ما يفكر بلغته، وكيف من الممكن أن تكون اللغة ناقصة في هذا الحد، بالإضافة إلى ذلك كل الأديان السماوية تدعو الناس إلى النظر في الكون، حيث قال الله تعالى في كتابه: **[سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ]**[فصلت: 53] وأخيرًا نريد أن نذكر التناقضات في كلام باين، حيث إنه يهمل احتمال أن الكتاب المقدس كان كلام الله ولكن بعد ذلك حرّف، والذي يعتقد باين هو احتمال واحد وهو أن الكتاب المقدس قد حرّف تاريخيًا[33].

المطلب الثاني: موقفه من الأنبياء.

ومفهوم النبوة من أبرز المسائل التي ينتقدها المذهب الربوبي؛ حيث يعتقد أن الإنسان ليس بحاجة إلى النبوة للوصول إلى الحقيقة؛ لأنه صاحب العقل والحكمة ويستطيع إدراك الحقيقة بهما. ونجد نفس الفكرة عند توماس باين. ويرى أيضا أن مفهوم النبوة كان يستخدم بمعنى الشعر في الكتاب المقدس ولكن مع مرور الزمان كسب معنى خاصًا، وعلاوة على ذلك يعتقد أن كلمة النبي تستخدم بمعنى عازف، ويضرب الأمثلة من الكتاب المقدس مثل: **{... تصادف زمرة من الأنبياء نازلين من المرتفعة وأمامهم رباب ودف وناي وعود وهم يتنبأوون}**[صموئيل الأول، 10:5] ويدعي باين أن مفهوم النبي متعلق بالشعر والموسيقي في

الكتاب المقدس؛ لأنه يطلق على من يخبر عن المستقبل ويتحدث عن الأشـياء غير المعروفة عند الناس مثل "الكاهن". ولكن بعد مرور الزمان مضمون الكاهن دخل في مضمون النبي، وبالتالي فإن باين انتقد كهانة النبي؛ حيث إنه يخبر الأخبار التي ستحدث في وقت قريب مثل الولادة ونجاح العلاقة الزوجية أو فشلها، ولكن هذا يعني التنجيم في نظر باين[34].

ويؤمن باين بأن هناك نقطة مشـــتركة عند كل الأنبياء، إذ إنه نبي لمن يؤمن به ومعارض لمن يعارضـــه، ويرى التشابهات بينهم وبين السياسيين والشعراء المعاصرين، ويضرب المثال من الكتاب المقدس لتقوية رأيه حيث لما انقسم اليهود إلى قسمين أصبح نبي خاص لكل قوم، وكان يهتم كل نبي بشيء آخر حتى يقتل الأنبياء بعضهم بعضًا[35].

ويمكننا القول إنه لا يرى التناقضـــات في كلامه أو يهملها؛ لأنه يدعي أن الكتاب المقدس ليس كتابًا منزلًا من الله تعالى، ويعتقد أن الناس هم الذين ألفوا هذا الكتاب وهويتهم مجهولة، إذن كيف من الممكن أن نشمل مفهوم النبي الذي في هذا الكتاب على كل الكتب السـماوية، وحين ننتقل إلى انتقاداته الأخرى فإنه يعتقد التشـابه بين الأنبياء وبين السـياسـيين والشـعراء المعاصـرين، وهذا يعد من باب المفارقة التاريخية ومقبول عند كل الباحثين أن هذا المنهج من أكبر الأخطاء في البحث العلمي في يومنا، ونجد نفس الشيء في تحليل باين عن تسمية مدينة "دان" في الكتاب المقدس وهو يقارنها مع تسمية المدن في زمانه[36]. وفي الواقع أن الأنبياء يدعون الناس إلى نفس الطريق ولا يكذبون بعضهم بعضًا. **[قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ]**[البقرة: 136]، **{وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ]**[الصف: 6] كل هذه الآيات تدل على أن الأنبياء في الإسلام يصدقون بعضهم بعضًا.

ونسـتطيع أن نجد في كلام باين حكمًا غير دقيق؛ لأن من الثابت علميًا أن الكتاب المقدس قد تحرف[37]، وأُخرجت عدة مفاهيم في الكتاب المقدس عن معانيها الحقيقية، من هنا يمكننا الاسـتنتاج بأن ذِكر النبي ε في الكتاب المقدس ليس كما يعتقده الكتاب المقدس نفسه.

وركز اهتمامه على سـيدنا يونس υ في هذا الباب، وهو يعد أول عاصٍ من الأنبياء في نظره وكان يظن أن الله لا يجده، وركب في السفينة، ولكن ضربت العاصفة السفينة وأصحابها قرروا أن يرموا بعض الأشياء في البحر ففعلوا، ولكن على الرغم من هذا اسـتمرت العاصـفة وقد فهموا أنها إشـارة من الله بأن بينهم عاصٍ، وأجروا القرعة بينهم وفهموا من القرعة أن يونس هو العاصـي، وعلى الرغم من هذا حاولوا أن يخلصـوا يونس، ويدعو الله أن لا يقتلهم بسـبب هذا الرجل، وهذا يدل على وجود الناس الذين يؤمنون بالله من غير اليهود، وهذا غير موجود عند معتقدات اليهود؛ لأنهم يعتقدون أنه لا أحد يعبد إلهاً واحداً إلا اليهود، ثم ألقى أصـحاب السـفينة يونس في البحر، وحوت كبير ابتلعه وهو حيٌّ[38]. **{وَبَاتَ فِي بَطْنِ الحُوت ثَلَاثَةَ أيَّام وثَلَاث لَيَال آمنًا}**[يونان، 1: 17] ودعا يونس ربه وفي النهاية قذفه إلى البر، وذهب إلى قومه، ولم يكن نادمًا مما فعله، بل دخل مدينة نينوى وقال: **{بَعْدَ أَرْبَعِين يَوْمًا تَنْقَلِب نينوى}**[يونان، 3: 4]، المفهوم من هذه العبارة أنه كان يريد هلاك أهل هذه المدينة، ولكن هذا لم يحدث، وبالتالي غضـب، ويحكي لنا هذا: **{فقالَ اللهُ ليونانَ: أيحقُّ لكَ أنْ تغضبَ مِنْ أجلِ اليقطينةِ؟ فأجابَ يونانُ: يحقُّ لي أنْ أغضبَ إلى الموتِ. فقالَ الرّبُّ: أشفقتَ أنتَ على اليقطينةِ الّتي لم تـتعبْ فيها**

ولا ربَّيتَها، وإنمَّا طلَعَت في ليلةٍ ثُمَّ هلَكَت في ليلةٍ، أفلا أُشــفِقُ أنا على نينَوى العظيمةِ الّتي فيها أكثرُ مِنْ مئةٍ وعشــرينَ ألف نسْـمةٍ لا يعرِفونَ يمينَهُم مِنْ شِـمالِهِم، فَضـلاً عَنْ بَهائِمَ كثيرةٍ} [سـفر يونان، 4: 9-11] بناءً على هذه العبارات في الكتاب المقدس يرى باين أن قصـــة يونس ترفض أجزاء من الكتاب المقدس فتتحدث عن الظلم والقتل الذي جرى على يد الأنبياء كلهم؛ لأن الله هو يرحم أكثر الناس في مدينة نينوى[39].

المبحث الثاني:
موقفه من العهد القديم.

مما تقدم يتضح لنا أن باين يرى أن الوحي ليس من الله وأنه شعوذة أيضًا[40]. وحاولنا تحت هذا المبحث إبراز موقفه من العهد القديم بالأمثال من كُتّاب عصر العقل، وناقشنا نقده من خلال قواعد النقد خاصة، وقسمنا هذا المبحث إلى مطلبين: المطلب الأول نتطرق إلى نقده الأدبي، وخصــصــنا المطلب الثاني لنقده التاريخي، والجدير بالذكر أن نقده عبارة عن النقد الأدبي والتاريخي للعهد القديم، ولم نصــادف النقد العلمي للعهد القديم خلال دراسـتنا. قبل أن ندخل في الموضــوع نريد أن نذكر بعض خصـوصـيات نقده، حيث إنه يعتمد على أسـفار العهد القديم ويذكر كثيرًا من الجمل من العهد القديم. ينتقد كتاب العهد القديم والأنبياء الذين ذكروا في أســفاره، ويُرى أنه لا يتميز بين حقيقة شــخصــيات الأنبياء ومظاهرهم في العهد القديم[41]. والذي لم يستخدم خلال نقده مصدرًا خارجيًا بسبب أن بعض الأشخاص يدعون أن العهد القديم أصلي تمامًا، وكل هذا يشير إلى أنه مطلع على العهد القديم، ولكن مع ذلك يمكننا أن نجد أنه يستفيد من كلام ابن عزرا وسبينوزا ويفيد هذا في كتابه، وهو يكشــف طريقه في النقد، حيث إنه يرى نفســه مثل الرجل الذي يدخل في الغابة ويقطع أشــجرها، ويدعي أن الأشــجار لن تغرس من جديد ولن تخصــب، والمهم أنه لم يكتف بالكتاب المقدس في نقده، بل هاجم اليهود مباشــرة، وبين صفاتهم الرذيلة[42]. وهو يعتقد أن كتابه يفرح أذهان الناس ويخلصهم من رذائل الكتاب المقدس[43].

المطلب الأول: نقده الأدبي.

النقد الأدبي نقد يهتم بتحديد قيمة النص من جهة الأدب واللغة، والذي يركز على الكلمات والتعبيرات والأســاليب الموجودة في النص، علاوة على ذلك يحتوى مجال النقد الأدبي عملية بحث في المصــادر المســتخدمة للنص لفهم كيف أخذ النص صــورة نهائية، والجدير بالذكر يندرج نقد المصــادر تحت النقد الأدبي أحيانًا، تطور هذا النقد مع قرن عصــر التنوير في الغرب، وباختصــار إن هذا النقد يحلل النص من جهة الترتيب ومن جهة المضـمون ومن جهة الحد والتعريف ومن جهة الأسلوب[44].

وفي هذه النقطة يقارن باين بين الكتاب المقدس والكتب الكلاســيكية ويصــل إلى بعض النتائج، إن كثيرًا من المدافعين عن ثقة الكتاب المقدس يدعون أن تأليف الكتاب المقدس أُلِّف أحسـن من الكتب الكلاسـيكية، وهذا دليل على أنه صــادق ومنزل من الله، والمهم أن باين يقارن الكتاب المقدس مع كتاب "أسـاس علم الهندسـة" لإقليدس، وهو يفكر أنه لو أننا لا ندري مَن مؤلف هذا الكتاب لكان لنا مصـدرًا أسـاسـيًا في هذا المجال ونحن نثق به؛ لأنه يحتوي المعلومات التي ما زالت حاضـرة، ولكن هذا لا يعني أن الكتاب المقدس هكذا؛ لأن بعض ما ذُكر في الكتاب المقدس يرجع إلى شـهادة شـخصـية، وتُفهم الأحداث غير الطبيعية التي ذكرت في الكتاب المقدس بإيمان، والثقة المطلقة هي شـهادة الأشـخاص فقط، وتوماس يذكر نقطة مهمة هنا ويقول إذا ما عرفنا بمؤلف كتاب كلاسيكي هذا لا يضرنا، ونحن نقيس قيمته بمحتوياته، ولكن إذا ثبت أن ما في العهد القديم لموســى υ ما بقي لنا إلا أن موســى υ هو المزور، ونرى أن باين يحلل محتويات الكتاب على أسـاس العقل، ونجد نفس المنهج في تحليله في المعجزات، والمقصود من المعجزات مثل شق موسى υ البحر، وهو لا يؤمن بهذه المعجزات؛ لأنه يلزم أدلة كثيرة من أجل الإيمان بها أكثر من ما يلزم الإيمان بالأشياء العادية[45].

ومع ذلك هو يقبل أن للكتاب المقدس لغةً وأسلوبًا خاصًا، ويحكي موسى عن نفسه هكذا، ولكن في رأيه مضمون الكتاب ينهي الاحتمال أن يكون العهد القديم كتاب موسى υ، ويضرب المثال في هذه النقطة من العهد القديم: **{وأمَّا الرجُل مُوسَى فَكَانَ حَلِيمًا جِدًا أكْثَر مِن جَمِيع النّاس الَّذِينَ على وَجْه الأرْضِ} [سفر العدد: 12:3].** وبالنسبة له من المستحيل أن النبي في كتابه يمدح نفسه ويثبت أنه ليس "حليمًا جدًا أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض" بل هو متكبر جدًا أكثر من جميع الناس، وإذًا فموسى ليس كاتبًا هذا الكتاب فهو لا يفيد الناس في أي مسألة، ولو عكسه لا أحد يؤمن به لأنه ليس حليمًا في الحقيقة، وهو يستمر في كلامه بضرب المثال من العهد القديم، إذ إنه يرى أن الحقيقة انكشفت أن كاتب هذا الكتاب ليس موسى υ؛ لأن ما دون مؤلف كتاب العهد القديم على أساس معين، وهو يُرى في كل صفحة من الكتاب، هو يكلم موسى متى يشاء ويتكلم عنه على حسب أهوائه، والذي يدعي أن قواعد اللغة في العهد القديم يُبرز للقارئ أنه ليس خاليًا من الأخطاء، علاوة على ذلك فقد انتقد محتويات الكتاب؛ لأن العهد القديم مملوء بمناظر التوحش والظلم بالنسبة له، ومن أجل ذلك مستحيل أن يكون هذا الكتاب كتاب الله، فواجب على كل ربوبي أن يشجع عدالة الله وأخلاقه ضد هذه الحكايات في العهد القديم[46]. والذي يرى من المستحيل أن يكون الشخص نبيًا وهو يستخدم صيغة الماضي مثل "وتبعهم إلى دان." ومن يدعي أنه النبي هو أحمق فقط[47].

والجدير بالذكر أنه يرى سفر أيوب وأيوب υ من جهة مختلفة؛ لأن هذا السفر لا يشتمل الشدة والقتل، بل هو يحتوي تفكر الإنسان وتدبره ومصير الإنسان والصبر، وهو يذكر احترامه لهذا السفر، ويعتقد أن هذا السفر ليس جزءًا من هذا الكتاب أصلاً، وتعتمد قناعته على كلام شارحَين يهوديين هما ابن عزرا وسبينوزا، فكلاهما يعتقدان أن هذا السفر مختلف عن الأسفار الأخرى من جهة الأسلوب في تدوين الحوادث، وطرز الحكاية، وأصل لغته ليس العبرانية، بل أُلِّفَ بلغة أخرى وانتقل إلى العبرانية، علاوة على ذلك هذا الكتاب يحكي عن فلسفة الطبيعة والكلمات التي تتعلق بها يونانية، ومن المعروف أن اليهود لا يعرفون شيئًا من علم الفلك، وهذا يدل على أنه مختلف عن الأسفار العبرانية تمامًا، ولا توجد علاقة في المضمون بين سفر أيوب وأسفار أخرى في الكتاب المقدس[48].

ونرى أنه ينتقد مدوني هذا الكتاب من جهة مهمة، حيث إنهم جمعوا هذا الكتاب بتخليط الأسفار بعضها ببعض، وهذا وحده يستطيع أن يكون دليلًا على أنه ليس كتاب الله، ولا يوجد له أصل، علاوة على ذلك فهو يرى أن هؤلاء المدونين ما كتبوا بأنفسهم هذه الأسفار، بل جمعوا مضمون هذه الأسفار من المتون القديمة من الأقوام المختلفة أو متون كُتّاب مجهولين، ومع ذلك زينوا في كل بداية الصفحات من الأسفار باسم الكنيسة وعيسى υ، لينجذب القارئ إلى هذين الاسمين[49].

ويستمر نقده في سفر المزامير، ويذكر أنه عبارة عن ثلاثة أقسام هي: القسم الأول الذي يتحدث عن الأخلاق، والقسم الثاني يحتوي عناصر حاقدة، ويتناول في القسم الثالث المعلومات فيما يتعلق باليهود، ولا يهتم به إلا اليهود أصلاً، وليس صحيحًا أن يقال إن هذه المزامير كلها ترجع إلى داود υ؛ لأن هذه المزامير ليست كلامَ داود بل تجمعت من عدة مؤلفات ودُوِّنت، حيث بعض المزامير تحكي لنا السبي البابلي، وهذا يصادف بعد أربعمئة سنة من وفاة داود υ، وهو ينتقد الناس الذين يؤمنون بهذا الكتاب دون نقد المتن، وعدم اهتمامهم بالزمان والمكان في هذه المزامير[50].

وإنه يعتقد أن هذا الكتاب مملوء بالكذب والسوء والكفر بالدين، وأقبح الفعل هو عطف الأفعال السيئة للإنسان على الله[51]. ويذكر عقيدة شعب الله المختار عند اليهود، ولكن هذا بالنسبة لباين لا يعد من الحقيقة؛ لأن أنبياء شعب الله المختار كذابون ومزورون، ولذلك ليس من الممكن أن الله اختار هذا الشعب وصدق ما فعل هذا الشعب[52]. وخلص باين في النهاية الى أن تحديد لغة للعهد القديم مستحيل بسبب تنوع اللغات في الأسفار [53].

المطلب الثاني: **نقده التاريخي.**

من المعروف أن المؤرخ يعتمد على وثائق تاريخية، إذ إن التاريخ لا ينتقل إلا بطريقتين هما: المشاهدة، ودراسة الآثار، وهذه الآثار هي آثار مادية وآثار كتابية، ومن المعروف أن الآثار المادية تندرج تحت اختصاص الأركيولوجي، والآثار الكتابية تدخل في مجال المؤرخ، وهو يتبع المراحل الأساسية خلال دراسته وهي: تدوين الوثائق وتناولها بالنقد والتمحيص[54].

إن النقد التاريخي ينقسم إلى قسمين هما: النقد الخارجي، والنقد الداخلي، والنقد الخارجي يطلق على "نقد الصحة" أو "نقد التحصيل" ويعتمد على "نقد التصحيح" و"نقد المصدر"، والمقصود بنقد التصحيح تصحيح الأخطاء التي في الوثيقة التاريخية، والمقصود بنقد المصدر بحث المؤرخ في وثيقة فيها شك بصحتها، ويجتهد في تحديد كاتب الوثيقة ووقت تأليفها، علاوة على ذلك من الواجب عليه الأخذ بعين الاعتبار الحوادث التاريخية، وبهذا الطريق نصل إلى الكاتب الأصلي للنص، ونستطيع تحديد زمانه ومكانه، وتحت أي ظروف ألّفه[55].

وأما النقد الداخلي فيسمى بنقد الصدق أيضًا، وهو يشتغل بفحوى الوثيقة، علاوة على ذلك يهتم بإدراك النص، وبحث نسبة النص إلى مؤلفه وصحته، والجدير بالذكر أن النقد الداخلي يحتوى "نقد التفسير" و"نقد الدقة والأمانة"، والمقصود بنقد التفسير جهود فهم المضمون وتحليله، وهذا النقد يحاول أن يحدد معنى الكلمة حرفيًا وحقيقيًا، وأما نقد الدقة والأمانة فيركز على احتمال أخطاء ووهم صاحب النص.[56] ويمكننا أن نجد النقد التاريخي عند باين بكل أنواعه، ونحاول أن نشير إليه إن شاء الله تعالى.

إنه يركز على الأسفار الخمسة من العهد القديم، ويذكر أن العهد القديم أُلِّف بعد قرون من وفاة موسى υ[57].

ويرى أن ليس من الممكن أن يكون كاتب هذا الكتاب هو موسى υ؛ لعدم وجود أي إشارة عندنا تدل على أن كاتب هذا الكتاب موسى υ، حيث إن أسلوب الكتاب يشجع على هذه الفكرة فالذي يتكلم شخصٌ آخر عن موسى υ، وتجري العبارات في الكتاب المقدس دائمًا هكذا "قال موسى ربه" "قال ربه موسى"[58].

ويستدل على رأيه من العهد القديم: **{ودعوا اسم المدينة دان باسم دان أبيهم الذي ولد لإسرائيل، ولكن اسم المدينة أولا لايش}[القضاة 18: 29،30].** ومن المعروف أن هذا الجزء وُضع في العهد القديم بعد موت سامسون، بعد ثلاثمئة سنة من

وفاة موسى υ، إذن إن هذه المدينة أخذت هذا الاسم بعد وفاة موسى υ، وهذا يعني أن هذا الجزء لم يكتب على يد موسى υ.[59]

علاوة على ذلك يدقق احتمال أن يكون يشوع هو كاتب سفر يشوع في العهد القديم ويرى أنه مستحيل، وهو يستدل على أفكاره بآيات من العهد القديم، حيث تم تأليف هذا السفر بعد زمن طويل من وفاته، وفضلًا عن ذلك فإن هذا السفر يحتوي كثيرًا من الحوادث التي ظهرت بعد وفاته، وأيضًا هذا السفر مملوء بالمظاهر السيئة ليشوع، وهو يضرب مثالًا آخر ليثبت صحة أفكاره من الكتاب المقدس حيث: **{وعبَدَ بَنو إسرائيلَ الرّبَّ كُلَّ أيّامِ يَشوعَ، وكُلَّ أيّامِ الشُّيوخِ الّذينَ امتدت حياتُهُم إلى ما بَعدَ يَشوعَ والّذينَ عرَفوا كُلَّ ما صنعَ الرّبُّ لإسرائيلَ} [سفر يشوع 24: 31]**، بعد ذكر هذا يسأل هل من الممكن أن يعرف الشخص شيئًا بعد وفاته؟ إذن هذا يدل على أن يشوع ليس كاتب هذا السفر.

وينتقد باين وجود تاريخ اليهود الخاص في الكتاب المقدس؛ لأن هذه الحوادث الخاصة مهمة عند اليهود فقط، فلماذا الأقوام المختلفة ذكرت فيها، وعلى الرغم من ذِكر الحوادث التاريخية في الكتاب المقدس فقد وُجِدت عدة أخطاء بارزة فيها، وسفر يشوع يحتوي كثيرًا من الأمثلة في هذا الصدد، إذ إن كاتب هذا السفر يسجل أسماء العائلات ويذكر عدد كل عائلة، ولكن في النهاية يصل إلى نتيجة خاطئة للمجموع. [سفر عزرا 2: 3-64] ومن أجل ذلك يسرد باين أن الكتاب المقدس لا يستطيع أن يكون مصدرًا موثوقًا في أي مسألة.[60] كل ما سبق يشير لنا أن نقده مطابق لمنهج النقد التاريخي.

خاتمة.

وفيها أهم نتائج البحث، والتوصيات:

توصل الباحثان من خلال ما سبق إلى **النتائج** الآتية:

1- اتبع باين عزرا وسبينوزا في نقده العهد القديم، واستفاد منهما في اختيار المسائل والمناهج، حيث اهتم بالنقد الأدبي والتاريخي كما فعل سبينوزا.

2- أكد هذا البحث أن من أكبر الأخطاء في منهج باين تعميم الكتب السماوية مثل القرآن الكريم.

3- يعتمد نقده إمكان الوحي والنبوة على معتقداته، خلافًا للدليل أو المرجع العلمي أحيانًا.

وتوصي هذه الدراسة بالاهتمام بنقد الربوبيين للكتاب المقدس والقرآن الكريم؛ لإظهار منهجهم في نقدهم للكتب المنزلة.

الهوامش.

(1) أريج إبراهيم عبد الرحمن الحوامدة، **حركة نقد الكتاب المقدس في أوروبا من عصر النهضة إلى العصر الحديث وموقف الكنيسة منها**، عمان، رسالة ماجستر، جامعة العلوم الإسلامية والعالمية، 2017م، ص33.

(2) حافا لازاروس يافيه، **الإسلام ونقد العهد القديم في العصر الوسيط**، ترجمة: محمد طه عبد الحميد، القاهرة، مركز الدراسات الشرقية جامعة القاهرة، 2007م، ص15-16.

(3) الحوامدة، **حركة نقد الكتاب المقدس في أوروبا من عصر النهضة إلى العصر الحديث وموقف الكنيسة منها**، ص38، 41، 44.

(4) جوزيف نسيم يوسف، **نشأة الجامعات في العصور الوسطى**، بيروت، دار النهضة العربية، 1981م، ص242.

(5) Yasin Meral, Spinoza'nın Teolojik-Politik İncelemesi'nde Tanah Eleştirisi, **Mukaddime Dergisi**, İstanbul, 6(1), 2015, s.27-28.

(6) Yasin Meral, Tevrat Tenkit Geleneğinin Öncüsü: İbn Hazm mı Spinoza mı? **Diyanet İlmi Dergi**,Ankara, 50/4, 2014, s.78-80.

(7) الحوامدة، **حركة نقد الكتاب المقدس في أوروبا**، من عصر النهضة إلى العصر الحديث وموقف الكنيسة منها، ص98، 104.

(8) عز الدين اعليلو، **النقد الكتابي الأدبي بين الكتاب المقدس والقرآن الكريم**، مؤسسة مقاربات للنشر والصناعات الثقافية واستراتيجيات التواصل، ص27. شرف حامد سالم، **نقد العهد القديم**، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2010، ص 214.

(9) يوسف كلام، **تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكالية التفتيش والتقديس دراسة في التاريخ النقدي للكتاب المقدس في الغرب المسيحي**، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق، 2009م.، ص50.

(10) المصدر السابق، ص50-55.

(11) المصدر السابق، ص220.

(12) الحوامدة، **حركة نقد الكتاب المقدس في أوروبا من عصر النهضة إلى العصر الحديث وموقف الكنيسة منها**، ص120. موريس. ب.، **التورة والإنجيل والقرآن العلم**. ترجمة: حسن خالد، المكتب الإسلامي، 1990، بيروت، ص44.

(13) Thomas Paine, **Akıl Çağı**, çev: Ali İhsan Dalgıç, Türkiye İş Bankası Kültür Yayınları, İstanbul, 1. Baskı, 2014, s. 70.

(14) Cherbury, Lord Herbert. **De Veritate**, University of Bristol, J.W. Arrowsmith, 1937, p. 81.

(15) المصدر السابق، ص5.

(16) Adnan Bülent Baloğlu, **Lord Herbert'in İdeal Dini, Spinoza'nın Evrensel Dini, Neoliberalizmin Küresel Dini**, Deizm Sayısı Doğu Batı Yayınları, Ankara, 2020, s.19., Meryem Kardaş, **Deizmin İncilinde Tanrı ve Din Tasavvuru**, Din Karşıtı Çağdaş Akımlar ve Deizm, Ensar Neşriyat, Van, 2017, s. 22.

(17) Paine, **Akıl Çağı**, s.29.

(18) Hudson, Wayne. **The English Deists Studies In Early Enlightenment**. Pickering&Chatto, London, 2009., Johson, Bob. **Deism A Revolution in Religion, A Revolution in You,** World Union of Deists, California, 2009.

(19) المصدر السابق، ص5-6.

(20) المصدر السابق، ص7-8.

(21) المصدر السابق، ص164-165.

(22**)** Fatma Yüce**, Deizmden Teizme Tanrı-Din-İnsan**, Elis Yayınları, Ankara 2021, s. 157.

(23) Paine, **Akıl Çağı**, 168-169.

(24) المصدر السابق، ص132-133.

(25) Yüce, **Deizmden Teizme, Tanrı- Din-İnsan**, s. 264-265, 268.

(26) Paine, **Akıl Çağı,** s.27.

(27) المصدر السابق، ص4.

(28) عبد الصبور شاهين، **تاريخ القرآن**، نهضة مصر، القاهرة 2007، ص33-34.

(29) مأمون غريب، **أصحاب الرسول ع من الأعاجم**، دار الهدى للكتاب، القاهرة، ص 16.

(30) محمد بن فارس جميل، **الهجرة إلى الحبشة-دراسة مقارنة للروايات-**، دار الفيصل الثقافي، الرياض، 2004، ص27-28.

(31) عبد الوهاب عبد السلام الطويلة، محمد أمين شاكر حلواني، **عالمية الإسلام ورسائل النبي إلى الملوك والأمراء**، دار القلم، دمشق، ص87.

(32) Paine, **Akıl Çağı**, s. 28-29.

(33) Yüce, **Deizmden Teizme Tanrı-Din-İnsan**, s. 175

(34) Paine, **Akıl Çağı**, s.122-123.

(35) المصدر السابق، ص123-124.

(36) المصدر السابق، ص80-81.

(37) ربيع، يحيى محمد علي. **الكتاب المقدس بين الصحة والتحريف، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع.** المنصورة، 1994، ص 70، 73، 149.

(38) Paine, **Akıl Çağı**, s.130.

(39) المصدر السابق، ص132.

(40) المصدر السابق، ص57.

(41) المصدر السابق، ص110.

(42) المصدر السابق، ص108.

(43) المصدر السابق، ص95.

(44) سالم، **نقد العهد القديم**، ص213-216.

(45) Paine, **Akıl Çağı**, s. 73-74.

(46) المصدر السابق، ص77-78.

(47) المصدر السابق، ص86.

(48) المصدر السابق، ص106، 108.

(49) المصدر السابق، ص112-113.

(50) المصدر السابق، ص109-110.

(51) المصدر السابق، ص86.

(52) المصدر السابق، ص97

(53) المصدر السابق، ص129.

(54) الكلام، **تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكالية التقنين والتقديس**، ص 50-51.

(55) Paine, **Akıl Çağı**, s. 52-54.

(56) المصدر السابق، ص 59.

(57) المصدر السابق، ص 75.

(58) المصدر السابق، ص 76.

(59) المصدر السابق، ص 82.

(60) المصدر السابق، ص 105-106.

المراجع.

أولًا: المراجع العربية:

- اعليلو، عز الدين. **النقد الكتابي الأدبي بين الكتاب المقدس والقرآن الكريم**. مؤسسة مقاربات للنشر والصناعات الثقافية واستراتيجيات التواصل.
- **ب**، موريس. **التورة والإنجيل والقرآن العلم**. ترجمة: حسن خالد، المكتب الإسلامي، بيروت، 1990م.
- جميل، محمد بن فارس. **الهجرة إلى الحبشة-دراسة مقارنة للروايات-**. دار الفيصل الثقافي، الرياض، 2004م.
- الحوامدة، أريج إبراهيم عبد الرحمن. **حركة نقد الكتاب المقدس في أوروبا من عصر النهضة إلى العصر الحديث وموقف الكنيسة منها**. عمان، رسالة ماجستر، جامعة العلوم الإسلامية والعالمية، 2017م.
- ربيع، يحيى محمد علي. **الكتاب المقدس بين الصحة والتحريف**. دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، 1994م.
- سالم، شرف حامد. **نقد العهد القديم.** مكتبة مدبولي، القاهرة، 2010م.
- شاهين، عبد الصبور. **تاريخ القرآن**. نهضة مصر، القاهرة، 2007م.
- غريب، مأمون. **أصحاب الرسول** ﷺ **من الأعاجم.** دار الهدى للكتاب، القاهرة.
- الطويلة، عبد الوهاب عبد السلام. محمد أمين شاكر حلواني، **عالمية الإسلام ورسائل النبي إلى الملوك والأمراء**، دار القلم، دمشق.
- كلام، يوسف. **تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكالية التفتيش والتقديس دراسة في التاريخ النقدي للكتاب المقدس في الغرب المسيحي.** دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق، 2009م.

- يافيه، حافا لازاروس. **الإسلام ونقد العهد القديم في العصر الوسيط**. ترجمة: محمد طه عبد الحميد، مركز الدراسات الشرقية جامعة القاهرة، القاهرة، 2007م.
- يوسف، جوزيف نسيم. **نشأة الجامعات في العصور الوسطى.** دار النهضة العربية، بيروت، 1981م.

ثانيًا: المراجع الأجنبية:

- Baloğlu, Adnan Bülent. **Lord Herbert'in İdeal Dini, Spinoza'nın Evrensel Dini, Neoliberalizmin Küresel Dini**. Deizm Sayısı Doğu Batı Yayınları, Ankara, 2020.
- Cherbury, Lord Herbert. **De Veritate**, University of Bristol, J.W. Arrowsmith, 1937.
- Hudson, Wayne. **The English Deists Studies In Early Enlightenment**. Pickering&Chatto, London, 2009.
- Johson, Bob. **Deism A Revolution in Religion, A Revolution in You.** World Union of Deists, California, 2009.
- Kardaş, Meryem. **Deizmin İncilinde Tanrı ve Din Tasavvuru**. Din Karşıtı Çağdaş Akımlar ve Deizm, Ensar Neşriyat, Van, 2017.
- Meral, Yasin. Spinoza'nın Teolojik-Politik İncelemesi'nde Tanah Eleştirisi. **Mukaddime Dergisi**, İstanbul, 6(1), 2015, s.27-28
- Meral,Yasin. Tevrat Tenkit Geleneğinin Öncüsü: İbn Hazm mı Spinoza mı?. **Diyanet İlmi Dergi**,Ankara, 50/4, 2014, s.78-80.
- Paine, Thomas. **Akıl Çağı**. çev: Ali İhsan Dalgıç, Türkiye İş Bankası Kültür Yayınları, İstanbul, 1. Baskı, 2014.
- Yüce, Fatma. **Deizmden Teizme Tanrı-Din-İnsan**. Elis Yayınları, Ankara 2021.

Rwmnh al-marāji‘:

- A‘lylw ‘Izz al-Dīn, al-Naqd al-kitābī al-Adabī Bayna al-Kitāb al-Muqaddas wa-al-Qur’ān al-Karīm, Mu’assasat muqārabāt lil-Nashr wa al-Ṣinā‘āt al-Thaqāfīyah wa Istirātījīyāt al-tawāṣul.
- B. Mwrs, Altwrh wa-al-Injīl wa-al-Qur’ān al-‘Ilm. tarjamat: Ḥasan Khālid, al-Maktab al-Islāmī, Bayrūt, 1990M.
- Jamīl, Muḥammad ibn Fāris. al-Hijrah ilá alḥbsht-drāsh muqāranah llrwāyāt-. Dār al-Fayṣal al-Thaqāfī, al-Riyāḍ, 2004M.
- Al-Ḥawāmidah, Arīj Ibrāhīm ‘Abd al-Raḥmān. Ḥarakat Naqd al-Kitāb al-Muqaddas fī Ūrūbbā min ‘aṣr al-Nahḍah ilá al-‘aṣr al-ḥadīth wa Mawqif al-Kanīsah minhā. Risālat mājistir, Jāmi‘at al-‘Ulūm al-Islāmīyah wa al-‘Ālamīyah, ‘Ammān, 2017M.
- Sālim, Sharaf Ḥāmid. Naqd al-‘ahd al-qadīm. Maktabat Madbūlī, al-Qāhirah, 2010M.
- Shāhīn, ‘Abd al-Ṣabūr. Tārīkh al-Qur’ān. Nahḍat Miṣr, al-Qāhirah, 2007M.
- Gharīb, Ma’mūn. aṣḥāb al-Rasūl-ṣlá Allāh ‘alayhi wslm-min al’‘ājm. Dār al-Hudá lil-Kitāb, al-Qāhirah.
- Al-Ṭawīlah, ‘Abd al-Wahhāb ‘Abd al-Salām. Muḥammad Amīn Shākir Ḥalawānī, ‘ālamīyah al-Islām wa-rasā’il al-Nabī ilá al-mulūk wa-al-umarā’, Dār al-Qalam, Dimashq.

- Kalām, Yūsuf. Tārīkh wa-‘aqā’id al-Kitāb al-Muqaddas bayna Ishkālīyat al-taftīsh wa al-taqđīs dirāsah fī al-tārīkh al-naqdī lil-Kitāb al-Muqaddas fī al-Gharb al-Masīḥī. Dār Ṣafaḥāt lil-Dirāsāt wa al-Nashr, Dimashq, 2009M.
- Yāfyh, ḥāfā lāzārws. al-Islām wa-naqd al-‘ahd al-qadīm fī al-‘aṣr al-Wasīṭ. tarjamat: Muḥammad Ṭāhā ‘Abd al-Ḥamīd, al-Qāhirah, Markaz al-Dirāsāt al-Sharqīyah Jāmi‘at al-Qāhirah, al-Qāhirah, 2007M.
- Yūsuf, Jūzīf Nasīm. Nash’at al-jāmi‘āt fī al-‘uṣūr al-Wusṭá. Dār al-Nahḍah al-‘Arabīyah, Bayrūt, 1981M.